المسجد الأموى بدمشق

بين الحقيقة والأسطورة

كما جاء فى تاريخ دمشق لابن عساكر

للدكتور أحمد رمضان أحمد
كلية الآداب - جامعة عين شمس

ابن عساكر هو ابو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله بن الحسين الملقب ثقه الدين والمعروف بابن عساكر.

ولد الحافظ فى دمشق سنة ٤٩٩ هـ واخذ شيئا من العلم عن أهله وانتفع بصحبة جده أبى الفضل فى النحو. وتفقه فى حداثته على الفقيه ابى الحسن السليمى (١). ومن ثم فقد كان للبيئة التى نشأ فيها الحافظ بن عساكر أثر كبير فى اتجاهه نحو العلم ونبوغه فيه. فقد نبت فى بيت قضاء وحديث وفقه. كما كان ابوه الحسن بن هبة الله بن الحسين بن عبدالله الشافعى (المتوفى سنة ٥١٩ هـ/١١٢٥ م) شيخا صالحا عدلا وهو رأس بيت معمور بالأئمة والمحدثين (٢) والعلماء الذين كان لهم شأن كبير فى القرنين السادس والسابع للهجرة. وكان اخوه الأكبر الصائن هبةالله بن الحسن المتوفى سنة (٥٦٣ هـ/١١٦٧ م) فقيها ثقة. تفقه بدمشق على ابى الحسن بن المسلم ونصرالله بن محمد. رحل الى بغداد وتفقه على علمائها. فلما عاد الى دمشق. درس بالغزالية وافتى وكتب وكان معنيا بصفة خاصة بعلوم القرآن والنحو واللغة. أما اخوه الثانى محمد بن الحسن فقد كان قاضيا وقد تفقه اولاده السنة فى علم الحديث ودرّسوه.

لزوم طريقة واحدة منذ اربعين سنة وعدم التطلع الى أسباب الدنيا وأعراضه عن المناصب الدينية كالامامة والخطابة بعد أن عرضنا عليه . فقد كان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى قد بنى له دار الحديث النورية فدرّس بها الى حين وفاته غير ملتفت الى غيرها ولا متطلع الى زخرف الدنيا .

لقد عاصر الحافظ بن عساكر الملكين نور الدين محمود بن زنكى وصلاح الدين الايوبى واتصل بهما اتصالا وثيقا . فقد كانت منزلته منزلة الاستاذ من تلميذه او الاخ من أخيه . بل ان نور الدين كان السبب فى تعجيل الحافظ بتأليف كتابه تاريخ دمشق ولما توفى الحافظ سنة ٥٧١ هـ/١١٧٥ م . شيع (٩) صلاح الدين الأيوبى جنازته وصلى عليه فى ميدان الحسا . ودفن بمقبرة الباب الصغير الى جانب حجرة معاوية (١٠)

أما عن تآليف الحافظ بن عساكر فكما يقول ابن خلكان وغيره ممن تناولوا ترجمة حياته وسيرته . فقد بلغت اربعين مصنفا . اجلها (تاريخ مدينة دمشق واخبارها وتسمية من حلها أو وردها أو اجتاز بنواحيها) .

وعن هذا المصنف العظيم ننقل ما جاء فى ابن خلكان : « ما أظن هذا الرجل (ابن عساكر) الا عزم على وضع هذا التاريخ من يوم عقل على نفسه . وشرع فى الجمع من ذلك الوقت والا فالعمر يقصر عن ان يجمع فيه الانسان مثل هذا الكتاب » . وأردف ابن خلكان ذلك بقوله « ومتى يتسع للانسان الوقت حتى يضع مثله وهذا الذى ظهر هو الذى اختاره وما صح له هذا . الا بعد مسودات مايكاد حصرها وله غيره تواليف حسنة »

أما مصنفاته الاخرى التى خاض عبابها . فهى الحديث والفقه والتاريخ والاخبار والادب . ولم يكن اعتماده فيها على النقل فقط . بل كان يستعمل العقل والمنطق . وفى القليل الذى وصل الينا من مصنفاته برهان على ذلك . وكما قال كرد على : فقد عنى بحل المشاكل يناقش ويجادل بعيدا عن تعصب اهل مذهبه وهو بذلك اقرب الى الاجتهاد منه الى الجمود والتقليد . كذلك كان الحافظ بن عساكر مؤرخا ومحدثا صادقا وهما من أعظم الصفات التى تتوفر للمؤرخ المجيد .

ولعل من أهم ما نفعه فى دراسته وما سجله فى مصنفاته . رحلاته المتعددة فى ديار الاسلام فى مطلع شبابه وتلقيه العلم على ائمة العلماء والاخذ عن من اشتهر فى الامصار من الرجال . ولو اضفنا الى ما تقدم ما كان له من حظوة عند الملوك والامراء وما تيسر له من الاطلاع على مجاميع ومصنفات ما فى خزائنهم ومجموعاتهم . كل ذلك كان حريا أن يقبل الناس على ما يقول ويكتب .

وقد يكون من المفيد ان ننقل نبذا مختصرة مما ذكره اصدقاؤه ومعاصروه فى ترجمة حياته ووصف مؤلفاته . فقد ذكر السمعانى (١١) : إنه كان كثير العلم . غزير الفضل . حافظا متقنا . دينا خيرا . حسن السمت . جمع بين معرفة المتون والاسانيد . متثبتا محتاطاً ويقول الاصفهانى (١٢) : « هو الحافظ الذى تفرد بعلم الحديث والاعتقاد الصحيح . المنزه عن التشبيه . المحلى بالتنزيه . المتوحد بالتوحيد . المظهر شعار الاشعرى بالحد الحديد والجد الجديد والايد السديد » .

والذى يعنينا من مؤلفات شيخنا ابن عساكر البالغ عدد المعروف منها اربعين ، مصنفه عن تاريخ دمشق ، والذى قال عنه العماد فى الجريدة انه يقع فى سبعمائة كراسة ، كل كراسة عشرون ورقة . وقال العماد انه فى خمسماية وسبعين جزءا والنسخة الجديدة ثمانية جزء . أما عن المدة التى استغرقها ابن عساكر فى تأليف هذا المصنف الضخم فلم يذكرها احد من المؤرخين صراحة ، وان استطاعوا ان يصلوا اليها استنتاجا فقد ذكر ابن خلكان (١٣) نقلا عن المنذرى فى تاريخه : ما اظن هذا الرجل إلا عزم على وضع هذا التاريخ من يوم عقل على نفسه وشرع فى الجمع من ذلك الوقت » . وفى اعتقادنا ان المنذرى على حق فيما ذهب اليه . ذلك أن اتساع اطراف هذا المصنف وغزارة مادته ، وتنوع ما فيه يؤكد بان الحافظ ابن عساكر قد استغرق فى تأليفه عمره ، ومن ثم فان المنطلق يدعو الى الظن بأنه قد بدأ تأليفه وهو فتى . وقد استطاع صلاح الدين (١٤) المنجد ان يحدد بعد الاستقراء والمقارنة التاريخ الذى بدأ فيه كتابة مصنفه (تاريخ دمشق) فقد استشهد فى ذلك بما ذكره رفيقه السمعانى (١٥) فى حديثه عن رحلة ابن عساكر الى بلاد العجم اذ قال : « دخل نيسابور قبلى بشهر (اى ابن عساكر) سمعت معجمه . والمجالسة للدينورى وكان قد شرع فى التاريخ الكبير لدمشق وقد لقيته بنيسابور اول ما وردتها سنة تسع وعشرين (١٦) وقد دامت رحلته الى العجم الى سنة ثلاثة وثلاثين وخمسماية (١٧) » . واستدل صلاح المنجد مما تقدم بان الحافظ ابن عساكر بدأ تاريخه بدمشق قبيل رحلته الى خراسان وكان قد بلغ من العمر ثلاثين عاما ، ولما كان أقدم سماع على الحافظ فى النسخة الجديدة المؤلفة فى ثمانين مجلدا سنة **٥٥٩** هـ كما يقول ابنه القاسم (١٨) ، ومن ثم نستطيع ان نقدر ان الحافظ سلخ فى تأليف تاريخه ثلاثين سنة أو أقل قليلا (١٩) .

وقد سمى الحافظ بن عساكر مصنفه هذا عن دمشق (تاريخ مدينة دمشق وذكر فصلها وتسمية من حلها من الاماثل واجتاز بنواحيها من وارديها واهلها) . وكما سبق ان ذكرنا ان مصنفه هذا يقع فى ثمانين مجلدا وقد تفضل مشكورا المجمع العلمى العربى بدمشق بنشره فى ثمانين مجلدة تشتمل كل منها على عشرة اجزاء من الأصل . وتبلغ عدد صفحاتها نحو (٩٠٠) صفحة من القطع الكبير ، وقد عهد المجمع بتحقيق الجزء الخاص بفضائل الشام وفتوح الشام عامة وخطط دمشق الى الاستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد . أما عن الترجمة لكل من دخلها أو اجتاز بنواحيها من (انبيائها وهداتها) وخلفائها وولاتها وفقهائها وقضاتها وعلمائها ورواتها وقرائها ونحاتها وشعرائها ورواتها الى نخبة من العلماء الافاضل نذكر منهم الاستاذ محمد أحمد دهمان .

وقد رأينا أن نقتصر فى وصفنا وتفنيدنا لهذا المصنف الضخم لابن عساكر على المجلدة الثانية منه المشتملة على خطط دمشق وذكر مساجدها وكنائسها وأبوابها ودورها وانهارها وأفنيتها . وهو الجزء الذى سنعتمد عليه فى الموضوع الذى سنشارك به فى المؤتمر العالمى لابن عساكر الا وهو (المسجد الاموى بدمشق بين الحقيقة والاسطورة كما جاء فى كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر) .

أما عن الاسباب التى دعتنا الى اختيار هذا الموضوع ، الأ وهو المسجد الاموى بين

الحقيقة والاسطورة . هو كثرة ما ورد من الاساطير عن هذا المسجد بالذات فى كتابات ابن عساكر . ولعل ذلك من أبرز المآخذ على قلتها فى كتابات ابن عساكر وفى ذلك يقول كرد على (٢٠) : « وقد يؤخذ على ابن عساكر انه جمع فى اخبار الفضائل التى فى مفتتح تاريخه عن مدينة دمشق كثيرا من الضعيف وكثيرا من الاساطير » ولكن سرعان ما يعود كرد على فيبرر منهج ابن عساكر فيقول « وسبب ذلك انه حرص على ان لا يخلى كتابه مما يفيد جميع الطبقات وقد يسرد أشياء لا يعتقدها فيما نحسب . والعقل يمحص وينفى الزغل . وابن عساكر اعلم الناس بالاحاديث الضعيفة والموضوعة . والمؤرخ قد ينقل أخبار اهل النحل والمذاهب من دون أن ينفيها أو يقرها فلا يستدل بذلك على انه يعتقدها » ثم ينهى كرد على نقده هذا بقوله : « واى كتاب للمحدثين والاقدمين سلم من نقد ومؤاخذة » . وقد ادرك الحافظ بن عساكر نفسه . ما قد يكون فى الكتاب من مآخذ فقال : « هذا مبلغ علمى وغاية جهدى عما وقع الى وثبت عندى . فمن وقف فيه على تقصير أو خلل أو عثر فيه على تغيير او زلل . فليعذر اخاه ذلك متطولا وليصلح ما يحتاج الى اصلاحه متفضلا » (٢١) .

على أننى لا أود أن يتبادر الى الذهن اننى قد اخترت موضوعى هذا لكى أنقد كتابات ابن عساكر أو أضع قصصه ورواياته واساطيره موضع التنفيذ أو أعرض ما ذكر من أحاديث للعدل والتجريح . ولكننى أردت أن أعرض لأسلوب كتابة التاريخ والرواية التى كانت سائدة فى كتابات مؤرخى المسلمين فى تلك الازمان . بل وربما كان هذا الاسلوب فى ذلك الوقت هو المنهج السوى القويم . ومن ثم فقد وجب علينا نحن المحدثين من المؤرخين أن نتصدى لتوضيح هذا المنهج والاسلوب فلا نقيمه او نزنه بمقاييسنا وموازيننا الحديثة حتى لا نغمط حق هؤلاء العظام من المؤرخين اصحاب السبق ونجردهم مما لهم من فضل وعلم استفاد به وما يزال كل من جاء بعدهم من المؤرخين وارتوى من معينهم .

وقد أردت باختيارى للمسجد الاموى بصفة خاصة من بين الآثار التى ذكرها ابن عساكر بمدينة دمشق . أن أبين بالدليل المادى . الفرق بين الحقيقة والاسطورة فيما جاء عنه فى كتابات ابن عساكر . ذلك ان هذا الجامع هو المسجد الوحيد بمدينة دمشق بل واول مسجد فى العالم الاسلامى كله . الذى ما يزال باقيا على حالته الاولى منذ انشائه سنة ٨٦ هـ حتى الآن .

واذا أضفنا الى ما تقدم أن ابن عساكر أعطى المسجد الأموى لدمشق اهتماما خاصا . فقد بدأ به تاريخ مدينة دمشق . بل كان المسجد بيت القصيد فى دمشق فعقد له ستة ابواب ذكر فيها شرفه وفضله . وقسمة الكنيسة ثم هدمها . وبناء الجامع واخباره وما يتصل به . لتبين السبب الذى من أجله وقع اختيارى على الموضوع الذى نحن بسبيل بحثه .

وقبل أن نبدأ بدراسة المسجد الاموى كما جاء فى تاريخ ابن عساكر . كان لا بد لنا ان نقدم له بدراسة موجزة لمدينة دمشق التى لم تحظ مدينة فى الاسلام بتاريخ لها يضاهى تاريخها الذى صنفه الحافظ بن عساكر . فقد خصص لها المجلدتين الاولى والثانية فبين فيهما تخطيط دمشق وسورها وأبوابها وخططها وانهارها ومصانعها ومساجدها وآثارها وفضائلها

وخصائصها ، وما يتصل بذلك من تقويمها وتخطيطها .

على أن ابن عساكر لم يكن أول من كتب عن مدينة دمشق ، فقد سبقه الى ذلك عدد كبير من المؤرخين الذين كتبوا عن دمشق وخططها ولعل اولهم قاضى دمشق احمد بن المعلى (٢٢) المتوفى سنة (٢٨٦) هـ . واذا كان هذا المؤلف لم يصلنا ، الآ أن ابن جبير (٢٣) قد رآه واطلع عليه ونقل الكثير منه فى رحلته ، كما روى ونقل عنه ابن عساكر الكثير من نصوصه فى تاريخه عن دمشق وخاصة ما تضمنه عن بناء المسجد الجامع وقصة الكنيسة .

كذلك كتب ابن ابى العجائز (٢٤) فى القرن الرابع الهجرى كتابا اسماه تاريخ دمشق ، وهذا المصنف ايضا لم يصلنا وان كان ابن عساكر قد نقل الكثير منه وخاصة فيما كتبه عن خطط دمشق وقراها المنتشرة فى الغوطة وأرباضها التى سكنها بنوا أمية .

وفى القرن الخامس الهجرى صنف على بن محمد العربى المتوفى سنة ٤٤٤ هـ كتابه المعروف باسم فضائل الشام ودمشق ، ولعل اهم ما ذكره الربعى عن المسجد الأموى هو الحق الذى حدث سنة ٤٦١ هـ من قبل جند الفاطميين اثناء الفتن والثورات التى اجتاحت مدينة دمشق فى عصر الدولة الفاطمية .

وفى القرن السادس صنف هبة الله بن احمد الاكفانى المتوفى سنة (٥٢٤) هـ كتابا ذيّل فيه على تاريخ داريا للقاضى عبد الجبار الخولانى سماه تتمة تاريخ داريا وتسمية من حدث من اهلها وفيه سجل أثبت فيه آثار دمشق .

وبرغم كثرة المصادر التاريخية التى سبقت الحافظ بن عساكر والتى كتبت عن تاريخ مدينة دمشق والتى ذكرناها آنفا ، الا أن ما كتبه ابن عساكر عنها يعتبر جديدا كل الجدة من حيث الاسلوب والمنهج ، ومن حيث احاطته احاطة تامة بتاريخ هذه المدينة ، ومن ثم فان كتابه عن تاريخ مدينة دمشق يعتبر أعظم تاريخ ألف عن مدينة .

على أننى لست فى مجال التعريف بجميع النواحى التى تناولها الحافظ بن عساكر فى تاريخ مدينة دمشق ولكننى سأشير فقط اشارة عابرة الى الناحية التى نحن بصدد دراستها من تاريخ دمشق ونعنى بها خططها .

ولعل أهم ما تميز به تاريخ الحافظ بن عساكر والتى تفوق بها عمن سبقه فيمن كتب عن تاريخ دمشق ، أنه تكلم فى شىء من الاسهاب عن خطط دمشق فخصص لها المجلة الثانية (٢٥) هذا عدا ما جاء عن الخطط فى ثنايا تراجم الاشخاص الذين ذكرهم . وعلى الرغم من أن هناك بعض المؤرخين الذين كتبوا عن خطط بعض البلدان الاسلامية ، الا ان كتاباتهم كان يعتريها كثير من النقص وعدم الترتيب ، اذ كان جلها مبعثرا بين ثنايا موضوعات الكتاب مما جعل الوصول اليها وجمعها عملية شاقة ليس من اليسير الوصول اليها . فمثلا نذكر منها القشيرى الذى كتب عن مدينة الرقة (٢٦) ولم يذكر شيئا عن خططها ، كذلك كتب حمزة السهمى عن مدينة جرجان ولم يتحدث عن خططها الا فى باب واحد هو خطط المساجد (٢٧) .

ولعل المؤرخ الوحيد الذى تناول فى شىء من الاسهاب عن خطط بغداد فى كتابه عن

تاريخ بغداد هو الخطيب البغدادى (٢٨) وأن كان ينقصه الترتيب الذى امتاز به وتفوق على من سبقوه فيه شيخنا المؤرخ الحافظ بن عساكر .

ومما يذكر للحافظ بن عساكر بالفضل والسبق فى موضوع خطط مدينة دمشق . أنه أضاف ابوابا أصيلة لم يروها عن غيره ممن سبقوه . مثل المساجد وباب الانهار والقنى والحمامات . أما الابواب المتعلقة بالمسجد الاموى بدمشق (موضوع بحثنا) فقد أخذ الكثير منها عن أبن المعلى (٢٩) .

وقد رأينا أن نتناول كل باب من الابواب الستة التى خصصها ابن عساكر للحديث عن المسجد الاموى بدمشق لكى نبين الروايات والقصص الحقيقية منها والاسطورية كل على حدة .

الباب الأول

ذكر شرف المسجد الجامع بدمشق وفضله
وقول من قال انه لا يوجد فى الاقطار مثله

لقد أورد الحافظ بن عساكر فى شرف المسجد الجامع بدمشق ما جاء فى كتاب فضائل الشام (٣٠) ودمشق وكذا فى عيون التواريخ ما قاله قتادة فى تفسير سورة التين (٣١) قال : أقسم الله تبارك وتعالى بمساجد أربعة قال (والتين) وهو مسجد دمشق والزيتون وهو مسجد بيت المقدس (وطور سينين) وهو حيث كلم الله موسى . (والبلد الأمين) وهو مكة .

ثم يروى الحافظ عن زيد مَيْسَرة (٣٢) : أربعة أجبل مقدسة بين يدى الله سبحانه وتعالى : طور زيتا وطور سينا وطور تينا وطور تيمانا .

قال فطور زيتا بيت المقدس وطور سينا طور موسى وطور تينا مسجد دمشق وطور تيمانا مكة .

ويذكر الحافظ ايضا عن الحارث ان يزيد كان يقول : اربعة اجبل مقدسة فذكر نحوه . وأنبأ عن محمد بن شعيب قال : سمعت عثمان بن ابى عاتكة عن أهل العلم انهم كانوا يقولون (والتين مسجد دمشق) وانهم ادركوا فيه شجرا من تين قبل أن يبنيه الوليد .

ويذكر ايضا عن القاسم بن عثمان الجوعى : سمعت مروان بن محمد يقول فى قول الله تبارك وتعالى (والتين والزيتون) قال : التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس .

على اننا اذا رجعنا الى جمهور المفسرين نجدهم يتفقون على ان ما ورد فى سورة التين من قوله تعالى : (والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين) . وهى أقسام ببقاع مباركة شريفة . والتين هو الجبل الذى عليه دمشق والزيتون هو الجبل الذى عليه بيت المقدس . ويقال للأول طور زينا . وللثانى طور زيتا لانهما منبت التين والزيتون . وطور سينين الجبل الذى كلم الله زينا . وللثانى طور زيتا لانهما منبت التين والزيتون . وطور سينين الجبل الذى كلم الله تعالى الى شأنه . موسى عليه السلام . ويقال له طور سيناء . والبلد الامين هو مكة

والمتعاطفات متناسبة في أن المراد منها أماكن مخصومة . وقيل المراد بهما الشجرتان (٣٣) المعروفتان ، وقيل التين والزيتون كناية عن مواضع وليس المقصود هو القسم بالاشجار نفسها وإنما كنى بها عن مغارسها (٣٤) .

نخرج من مجمل التفاسير التى اوردها الحافظ بن عساكر ، والتفاسير الأخرى التى ذكرناها ان هناك اختلافا بيّنا في التفاسير ، وخاصة بالنسبة لآية التين (والتين) . فالبعض قال انها تعنى مسجد دمشق والبعض ذكر انها تعنى جبل طور تينا التى تقع عليه مدينة دمشق . ومن ثم فقط كان على الحافظ ابن عساكر ان يذكر التفسيرين وأن يرجح أحدهما . وهذا يوضح لنا اسلوب ابن عساكر في الكتابة فهو كما قال عنه محمد كرد على (٣٥) : « ان ابن عساكر ينقل أخبار أهل النحل او المذهب دون أن ينفيها أو يقرأها . فلا يستدل بذلك على أنه يعتقدها » . ومما يؤخذ على ابن عساكر أن حبه لمسقط رأسه دمشق جعله يسدد في اخبار فضائلها كل ما كتبه ورواه الاقدمون حتى الضعيف . هذا مع العلم أن ابن عساكر اعلم الناس بالروايات الضعيفة والموضوعة .

ومن الروايات والقصص الاسطورية التى اوردها الحافظ بن عساكر في شرف الجامع الاموى بدمشق . نذكر عن يحيي بن اسماعيل عن عبيدالله بن ابى المهاجر قال : (٣٦) « كان خارج باب الساعات (٣٧) صخرة يوضع عليها القربان . فما تقبل منه جاءت نار فأخذته وما لم يتقبل بقى على حاله » . وعن كعب الاحبار : (٣٨) « ليبنين في دمشق مسجد يبقى بعد خراب الدنيا أربعين عاما » . وعن القاسم (٣٩) بن عبد الرحمن قال : « أوحى الله تبارك وتعالى ان هب ظلك وبركته لجبل بيت المقدس (٤٠) قال ففعل . فأوصى الله تبارك وتعالى اليه : أما اذا فعلت فانى سأبنى لك في حضنك بيتا ـ قال عبد الرحمن ، قال الوليد في حضنك أى في وسطه وهو هذا المسجد ، يعنى مسجد ـ أعبد فيه بعد خراب الدنيا أربعين عاما ، ولا تذهب الايام والليالى حتى أرد عليك وبركتك . قال : فهو عند الله تعالى بمنزلة المؤمن الضعيف المتضرع » .

واضح من هذه القصص والروايات أنها اسطورية وليست حقيقية كما انه واضح ان الحافظ ابن عساكر نقلها على علاتها دون أن يمحصها أو ينفى الزغل عنها . ولعل السبب في ذلك كما ذكر محمد كرد على (٤١) : « حرص ابن عساكر الايخلى كتابه بما يفيد جميع الطبقات ، وقد يسرد أشياء لا يعتقدها فيما نحسب » . وفي اعتقادنا أن ابن عساكر قد تعمد في سرد هذه الاساطير العجيبة الخرافية والخارقة للعادة هو اظهار شرف وتميز المسجد الاموى بدمشق عن باقى مساجد الامصار الاسلامية .

على أنه ينبغى أن نقرر هنا ان الحافظ بن عساكر لم يكن مبتدعا لهذا المنهج او الاسلوب في سرد الاسطورة او الخرافة ، فان تدوين الاساطير وكتابة السير (٤٢) بدأ منذ العصر الاموى ، فان طبيعة المجتمع القبلى في شبه الجزيرة العربية ، وما كان يسوده من مفاخرة الافراد والقبائل بحسبها ونسبها ، جعل الكثير منهم يحرصون على رواية مفاخرهم ، ومفاخر قبائلهم ومثالب خصومهم ، وبرغم مما في هذه الاخبار والقصص من خرافة ومن خيال

وغموض وعدم الدقة (٤٣) ، فان مؤرخي العصور الوسطى قد نقلوها على علاّتها (٤٤)

ولم يقتصر الامر على تحريف السيرة او القصة فحسب ، بل ان ائمة الحديث متفقون على ان احاديث كثيرة قد وضعت منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم (٤٥) ، كما كثرت الاحاديث الموضوعة في عهد الفتنة الاولى بعد مقتل عثمان (٤٦) . ثم اخذ يزداد وضع الحديث وينمو حتى استفحل الامر فيما بعد . فقد اخذ الامويون يرجون بالاحاديث في فضائل عثمان بن عفان وفضائل الامويين وكل ما يمت لهم بصلة . ليس من حيث الحسب والنسب فحسب ، بل تعدى ذلك الى الاماكن والبقاع مثل مدينة دمشق عاصمتهم ، والمسجد الاموي جامعهم ، والذي نقل الكثير منه شيخنا المؤرخ ابن عساكر في شرف مسجد دمشق .

ومن القصص المثيرة التي يذكرها ابن عساكر في شرف المسجد الاموي ، انه لما امر الوليد بن عبد الملك (٤٧) ببناء مسجد دمشق وجدوا في حائط المسجد القبلي لوحا من حجر فيه كتاب نقش ، فأتوا به الوليد ، فبعث الى الروم فلم يستخرجوه ، ثم بعث الى العبرانيين فلم يستخرجوه ، فدل على وهب بن منبه (٤٨) ، فبعث اليه ، فلما قدم عليه اخبره بموضع ذلك اللوح ، فوجده في ذلك الحائط فقرأه وهب وكان مكتوبا عليه في النهاية « كتب في زمن سليمان بن داود عليهما السلام » .

والقصة في مجملها معقولة مقبولة ، الاّ أننا نقف عند ذكر ، أن اللوح لم تكن الكتابة المنقوشة عليه اللغة اللاتينية (لغة الدولة الرومانية) ، ولم تكن باللغة العبرية علما بأن اللوح قد كتب عليه انه في زمن سليمان بن داود عليهما السلام ، وهو نبي اليهود ولغتهم العبرية . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى اذا استعرضنا اللغات الأخرى التي كانت معروفة في عهد وهب ابن منبه ، لوجدنا اللغة البهلوية وهي الفارسية القديمة وكان يعرفها الكثيرون في عهد الوليد ابن عبد الملك ، بل ان بعض الدراهم الفضية التي كانت تصك في فارس في عهد الدولة الاموية كانت ما تزال تحتفظ بصور ملوك الفرس الساسان وبعض الالفاظ والحروف البهلوية (٤٩) . أما اللغات الاخرى فهي الخط المسماري والمسند ، لغة أهل حمير واللخميين ، وان كنا نستبعد ان يكتب بها في زمن سليمان بن داود وفي منطقة دمشق بالذات ، والذي نرجحه في هذه القصة أن يكون ابن منبه نفسه قد اوردها في احدى كتب المغازي والسير (٥٠) التي أشرنا اليها في (الهامش) ، ثم نقلها عنه المسعودي (٥١) وعنهم نقل ابن عساكر دون نقد أو تفنيد .

ومن القصص الاسطورية التي لا تقل غرابة عن القصة السالفة الذكر وجود رأس يحيي بن زكريا حين ارادوا بناء مسجد دمشق ، والتي اخرجت من تحت ركن من اركان القبة ، وكانت البشرة والشعر على رأسه لم يتغير . وقد وردت هذه القصة في كثير من المصادر التاريخية (٥٢) التي سبقت ابن عساكر ، ولكن شيخنا لم يناقشها أو يفندها . ومنطوق القصة كما جاء عن زيد بن واقد قال : وكلني الوليد على العمال في بناء جامع دمشق فوجدنا فيه مغارة ، فعرفنا الوليد ذلك ، فلما كان الليل وأتي وبين يديه الشمع ، فنزل فاذا هي كنيسة لطيفة واذا فيها صندوق فيه سفط وفي السفط رأس يحيي بن زكريا عليهما السلام ، مكتوب

عليه : هذا راس يحيى بن زكريا ، فامر الوليد فرد الى المكان وقال : اجعلوا العمود الذى فوقه مغيرا من الاعمدة فجعل عليه عمود مسبك (مسلط) (٥٣) الرأس .

والذى نود مناقشته فى هذه القصة ، بأى لغة كتب اسم يحيى بن زكريا ، وهل كتب على الصندوق او السفط او الرأس ؟ . ويبدو واضحا من هذه القصة ، الجانب الاسطورى الطريق الذى قصد به تشريف موضع المسجد ، ونحن لا نستبعد كتابة الاسطورة فى عصر الوليد بن عبد الملك ، اذ من المعروف ان بداية تدوين الاساطير ، كما ذكر المسعودى (٥٤) وغيره ، كان فى العصر الاموى ، فقد روى ان عبيد ابن شريه ، مولى معاوية بن ابى سفيان الف له (كتاب الملوك واخبار الماضين) . كما روى ان معاوية كان يستمع كل ليلة الى شىء من أخبار العرب وأيامها واخبار العجم وملوكها ، وكان يأتيه غلمان بكتب يقومون على حفظها ويقرأون له مما جاء فيها قصص وروايـات الملـوك وأساطيرهم وأخبار دولهم (٥٥) . وقد سار على نهج معاوية فى حبه لسماع السيرة والقصة والاسطورة ، كل من جاء بعده من ملوك بنى أمية عدا الخليفة عمر بن عبد العزيز (٥٦) . وليس من المستبعد أن تكون قصة وجود رأس النبى يحيى بن زكريا من الاساطير التى شاعت فى عهد الوليد بن عبد الملك من قبيل تقديس البقعة التى اقيم عليها المسجد الاموى بدمشق .

ومن الشواهد المادية التى يمكن الاستشهاد بها فى عدم صحة هذه الرواية انه لم يعثر على عمود او دعامة مما تقوم عليها اروقة المسجد جميعها ، وكلها ترجع (٥٧) الى عصر الوليد بن عبد الملك ، تتميز عن باقى الاساطين والاعمدة .

هذا ولم يذكر ابن فضل الله العمرى (٥٨) ، وهو من مؤرخى القرن الثامن الهجرى ، وصف جامع دمشق وصفا مسهبا انه وجد عمودا او دعامة لها وصف مغاير لباقى الاعمدة . وهو كما قال عنه أحمد زكى باشا محقق كتابه (٥٩) : « ان ما أورده مغاير (اى ابن فضل الله العمرى عن مسجد دمشق والاقصى من البيانات الفنية المعمارية والاصطلاحات الهندسية البنائية لم يجر بها قلم كاتب قط ، لا من عرب ولا من عجم ، لا قديما ولا حديثا » .

ومما تجدر الاشارة اليه ، انه يوجد الآن فى رواق القبلة فى وسط الرواق الثانى تقريبا ومقصورة معدنية مربعة الشكل يقال لها مشهد يحيى بن زكريا (٦٠) ، وبرغم دقة ابن فضل الله المتناهية فى وصف الجامع ، الا انه لم يشر الى تلك المقصورة اى اشارة على الاطلاق ، ومن ثم فاننا نستطيع القول بأنها انشئت بعد القرن الثامن الهجرى على أقل تقدير .

الباب الثانى

معرفة ما ذكر من الامر الشايع الذائع من هدم الوليد بقية كنيسة مريحنا وادخاله اياها فى الجامع

تكاد تجمع كل الروايات التى ذكرها ابن عساكر عن هدم الوليد للنصّف الثانى من كنيسة القديس يوحنا وادخاله اياها فى الجامع الاموى بدمشق على النحو التالى : ـ انه دخل

يوما على الوليد بن عبد الملك بن مروان ، ابو عبدالله بن المغيرة (٦١) بن عبد الملك فرآه مغموما . فقال له : يا أمير المؤمنين ما سبيلك ؟ قال : يا مغيرة ان المسلمين قد كثروا وقد ضاق بهم المسجد ، وقد بعثت الى هؤلاء النصارى اصحاب هذه الكنيسة لندخلها فى المسجد فأبوا علينا . وقد اقطعتهم قطائع كثيرة . وبذلت لهم مالا ، فامتنعوا فقال له المغيرة : يا أمير المؤمنين ، لا تغتم ، قد دخل خالد من باب الشرقى بالسيف ، وباب الجابية دخل منه أبو عبيدة بن الجراح بالامان . فما سحهم الى اى موضع بلغ السيف ، فان يكن لنا فيه حق اخذناه . فقال له : فرجت عنى فتول انت هذا فتولاه . فبلغت المساحة الى تسويق الريحان (انظر مخطط دمشق القديمة) حتى حاذى القنطرة الكبيرة بأربعة اذرع وكسر بالذراع (٦٢) القاسمى . فاذا باقى الكنيسة قد دخل فى المسجد . فبعث اليهم فقال لهم : هذا حق قد جعله الله لنا لنصلى فيه ، ولم يصل المسلمون فى غضب ولا ظلم . نأخذ حقنا الذى جعله الله لنا . فقالوا يا أمير المؤمنين قد اقطهتنا اربع كنائس . وبذلت لنا من المال كذا وكذا . فإن رأيت يا أمير المؤمنين ان تتفضل علينا به فأفعل . فامتنع عليهم حتى سألوه وطلبوا اليه . فاعطاهم كنيسة حميد بن درة وكنيسة أخرى حيث سوق الجبن وكنيسة مريم وكنيسة المصلبة (انظر مخطط دمشق القديمة) .

وقد أثار كثير من المستشرقين ضجة كبيرة حول قسمة كنيسة يوحنا نصفين واتخاذ المسلمين الجانب الشرقى منها مسجدا لهم ، وادعوا ان النص السالف الذكر والذى جاء فيه ان الكنيسة كان نصفها يقع فى الجزء الذى اخذه عبيدالله بن الجراح صلحا والنصف الآخر اخذه خالد بن الوليد بحد السيف . ولما كانت المعاهدة التى أبرمت بين المسلمين وبين أهل دمشق من المسيحيين تقضى بأن يترك العرب ما اخذ صلحا لأهل البلاد ويستولون فقط على ما أخذ بحد السيف . انما هو من وضع ابن عساكر ليبرر به نقض الوليد للمعاهدة التى كانت ما تزال قائمة يومئذ . بل لقد ذهب المستشرق كانتانى (٦٣) Contineau وكذا المستشرق (دوسو) (٦٤) Dussaud وسوفاجية (٦٥) Sauvaget الى أن هذا الخبر الذى اورده ابن عساكر ذو صبغة اسطورية وأنه من وضع ابن عساكر .

وقد ناقش هذا الموضوع صلاح الدين المنجد (٦٦) ورد على كثير من ادعاءات المستشرقين نخص بالذكر منهم كاتانى والمانس وهارتمان فافحمهم بالحجة والبرهان المادى . فذكر ان هذا الخبر قد ذكره عدد كبير من مؤرخى المسلمين قبل ابن عساكر مثل ابن جبير (٦٧) فى رحلته والذى نقله عن ابن المعلى . فقد قال فى رحلته : كذلك ذكر ابن المعلى فى تاريخه تاريخا عنى فيه بتفصيل موضوع بناء الجامع الاموى وقصة الكنيسة . ومن ثم فاننا نستطيع القول بأن النص الذى اورده الحافظ بن عساكر عن بناء المسجد وقصة الكنيسة ، قد سبقه اليه احمد بن المعلى بثلاثة قرون وأنه صحيح لا ريب فيه .

الباب الثالث

ما ذكر فى بناء المسجد الجامع واختيار بانيه وموضعه على سائر المواضع

ولما اراد الوليد بن عبد الملك بناء مسجد دمشق ، استقدم لَه الصناع والعمال من شتى البلاد الاسلامية التى اشتهرت بصناعة البناء ، وذلك تطبيقا لنظام الالتزام (٦٩) ، وقوامه فى الاسلام التزام اقاليم العالم الاسلامى بتقديم الصناع ، والفنيين ، ومواد الصناعة الى الحكومة المركزية للقيام بما تريده من الاعمال الفنية الجليلة (٧٠)

وقد ذكر ابن عساكر عن ابن المعلى ، لما اراد الوليد بن عبد الملك بناء مسجد دمشق احتاج الى صناع كثيرة ، فكتب الى الطاغية (ملك الروم) : « ان وجّه الى بمائتى صانع من صناع الروم ، فانى اريد أن أبنى مسجدا لم يبن فى مصر قبل ولا يكون بعدى مثله ، فان انت لم تفعل غزوتك بالجيوش وخربت الكنائس فى بلدى وكنيسة بيت المقدس وكنيسة الرها وسائر آثار الروم » (٧١) . ويضيف ابن فضل الله العمرى (٧٢) ، (اى ملك الروم) « لئن كان ابوك فهمها فاغفل عنها ، انها لوصمة عليه ، ولئن كنت فهمتها وغيّبت عن أبيك انها لوصمة عليك ، وانا موجه ما سالت». فاراد (اى الوليد) ان يجد جوابا فجلس عقلاء الرجال يذكرون ، فقال الفرزدق : انا أجيب ، قال الله تعالى « ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما » . فسرّى عنهم .

ونحن لا نشك فى صحة هذه الرواية ولكننا نستبعد الاسلوب العدائى الذى طلب به الوليد من ملك الروم ارسال العمال ، خاصة وانه قد طلب كذلك عمالا من الروم لبناء مسجد المدينة . هذا ونود ان نشير هنا الى أن عمال الروم انما جاءوا لزخرفة المسجد بالفسيفساء (٧٣) الذين برعوا فى صنعه وتخصصوا فيه (٧٤) . أما باقى عمال البناء فقد وفدوا من مصر والشام ومن العراق وبلاد فارس نطبيقا لنظام الالتزام السالف الاشارة اليه .

هذا بالاضافة الى ان كل المؤرخين مثل البلاذرى (٧٥) وابن عبد ربه (٧٦) والابشهى (٧٧) والبيهقى (٧٨) وغيرهم ذكروا العلاقات الطيبة بين الدولة الاموية ، وتبادل المصالح بينهما ، فقد كانت مصر تصدر القرطاس (الورق) من البردى الى امبراطور الروم بينما كان الروم يصكون للدولة الاموية الدنانير الذهبية ، ومن ثم فاننا نستبعد اسلوب التهديد الذى كتب به الوليد بن عبد الملك رسالته فى طلب عمال بناء من الروم .

الباب الرابع
كيفية ما رخم وزوق ومعرفة كمية المال الذى عليه أنفق

تحدث الحافظ بن عساكر عن رخام وتزويق مسجد دمشق ، فنقل عن احمد بن المعلى قوله : « ما فى مسجد دمشق من رخام شىء ، الا رخامتا المقام ، فانه يقال أنهما من عرش سبأ ، واما الباقى فكله مرمر » . ويضيف فيقول « أنبأ الحسن بن يحيي قال سمعت أبا جعفر يقول : هاتان الرخامتان اللتان فى جانبى المقام من عرش سبأ » . ويضيف ابن فضل الله العمرى (٧٩) فيقول : « المقام هو مقصورة الخطابة والرخامتان هما السماقى البَراق ولا يدرى ما قيمتهما » .

ونلاحظ هنا ان ابن عساكر يعود لسرد الاساطير دون حرج . فيردد ما جاء فى المصادر السابقة عليه من أن بعض الرخام الذى استعمل فى زخرفة مسجد دمشق مأخوذ من عرش سبأ . وهو شىء يصعب معرفته واثباته . وأن كان ليس من المستبعد أن يكون بعض الرخام الذى زخرف به المسجد قد أحضر من مدينة (تدمر) .

هذا وقد اعطانا ابن فضل الله العمرى وصفا مفصلا عن رخام مسجد دمشق فيقول : «بمسجد دمشق من الرخام الابيض وقرمثين من الابل ، ففيه من الملوك كالغرابى والمنقط والمشحم والاخضر والسماقى غير اللوحين (اللذين قيل انهما من عرش سبأ) شىء كثير ، والناس تطلق على كل ذلك اسم الرخام (أى فى القرن الثامن الهجرى عصر ابن فضل الله العمورى) .

أما عن الاموال التى صرفت على بناء مسجد دمشق فقد حرص ابن عساكر على جمع كل الروايات والاخبار التى قيلت فى هذا الصدد . فقد اورد حديث الوليد بن مسلم عن احتجاج الامة على الوليد على نفقاته الباهظة فى تزويق المسجد ، ورد الوليد المقنع على أهل الشام ، اذ قال : « لما اخذ الوليد فى بناء المسجد وظهر من تزويقه وبنائه وعظم مؤونته ، تكلم الناس وقالوا : محق بيوت الاموال فى نقش الخشب وتزويق الحيطان . فصعد المنبر (الوليد) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : قد بلغنى مقالتكم وليس الامر على ما ظننتم . الا وانى امرت باحصاء ما فى بيوت اموالكم فاصبت فيه عطاءكم ست عشرة سنة » . ويضيف ابن فضل الله العمرى (٨٠) قول الوليد : « يا اهل دمشق انى رأيتكم تفخرون بمائكم وهوائكم وفاكهتكم وحماماتكم فاحببت أن يكون مسجدكم الخامس » .

أما عن الاموال التى انفقت على المسجد فيقول ابن عساكر نقلا عن خالد بن تبوك : (٨١) حدثنى شيخ من اهل العلم : ان عبد الملك اشترى العمودين الاخضرين الكبيرين اللذين تحت النسر (اى قبة النسر) من حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية بالف وخمسمائة دينار « ونقل عن عمرو بن مهاجر (٨٢) . وكان على بيت مال المسلمين فى عهد الوليد ، انهم حسبوا ما انفقوا على مسجد دمشق فكان أربعمائة صندوق فى كل صندوق ثمانية وعشرون الف دينار » ومعنى ذلك ان ما انفق هو (٥ر٦٠٠ر٠٠٠) دينارا .

الباب لخامس

ذكر ما كان عمر بن عبد العزيز هم برقم رده على النصارى حين قاموا فى طلبه

لقد عرف الخليفة عمر بن عبد العزيز بالعدل والانصاف حتى لقب بخامس الخلفاء الراشدين ، من ثم فقد كثرت القصص والروايات الحقيقية والمبالغ فيها بل والتى خرجت عن حد المعقول والمقبول .يروونها عنه ، يريدون بها تكريمه ونشر محاسنه كأسوة حسنة يحتذى بها ، وبرغم ما كان عليه عمر بن عبد العزيز من كريم الاخلاق وما تحلى به من عظيم الصفات ، الا انه لم يسلم من غمز الناس ولمزهم ، فقد غضب عليه اهل الشام عندما رأوه يريد انصاف النصارى برد ما أخذه المسلمون من كنيستهم التى اضافوها الى مسجد دمشق (٨٣) ، فقالوا انه انما فعل ذلك من اجل امه النصرانية ، ومن المعروف ان امه ، أم ولد رومية .

وجريا على المنهج والاسلوب الذى اتخذه الحافظ بن عساكر فى كتاباته ، يورد لنا عددا من القصص والروايات التى احاطت بموضوع طلب النصارى برد ما دخل من كنيستهم فى مسجد دمشق ، فيذكر عن ابن المعلى ، عن ابن جابر وغيره : ان النصارى رفعوا الى عمر ابن عبد العزيز ما اخذوا عليه العهد فى كنائسهم ، لا تهدم ولا تسكن (٨٤) ، وجاءوا بكتابهم اليه وكلمهم عمر ورفع (٨٥) لهم فى الثمن حتى بلغ مائة الف دينار . فأبوا . فكتب عمر على محمد بن سويد الفهرى : (٨٦) ان ادفع اليهم كنيستهم الا ان يرضوا برضاهم. فاعظمه ذلك وأعظم الناس وفيهم يومئذ بقية من اهل الفقه ، فشاورهم محمد بن سويد الفهرى فقالوا : هذا أمر عظيم ، ندفع اليهم مسجدنا وقراءنا فيه وقد أذنا فيه بالصلاة وجمعنا فيه يهدم كنيسة ؟ فقال رجل منهم . ها هنا خصلة : لهم كنائس عظام حول مدينتهم ، دير مران وباب توما والراهب (٨٨) وغيرها احبوا ان نعطيهم كنيستهم ، ولا تبقى حول مدينة دمشق كنيسة ولا بالغوطة الا هدمت ، وإن شاءوا تركت لهم كل كنيسة بالغوطة ، ونسجل لهم بها سجلا وتركوا ما يطلبون . فعرض ذلك عليهم فقالوا : انظرونا ننظر فى أمرنا . فتركهم ثلاثا ، فقالوا نحن نأخذ الذى عرضت علينا وتكتب الى الخليفة تخبره انا قد رضينا بذلك ، ويسجل الخليفة من قبله سجلا منشورا بامان على ما فى الغوطة من كنيسة من ان تهدم أو تسكن . فكتب الى عمر بن عبد العزيز بذلك فسره وسجل لهم ما فى كنائسهم التى خارج مدينة دمشق والغوطة انهم آمنوا ان تخرب أو تسكن واشهدوا لهم شهودا .

ويسجل الحافظ بن عساكر النصوص التى وردت فى المراجع التاريخية الخاصة بنزع كل ما له قيمة من مسجد دمشق لبيعه ورده الى بيت المال وذلك حرصا منه على اموال المسلمين التى يعتقد أنها انفقت فى غير حقها . ومما يؤخذ على الروايات التى سردها ابن عساكر ان

بعضها ضعيف وغير معقول ، بل انها تصل الى حد الاسطورة ، ومع ذلك لا يرى شيخنا المؤرخ حرجا في سردها ، وذلك جريا على ما كان متبعا في عصره . فقد كان المؤرخ ينقل اخبار اهل النحل والمذاهب دون أن ينفيها او يقرها فلا يستدل من ذلك على انه يعتقدها (٨٩) .

ومن هذه الروايات ما ذكره ابن عساكر عن عمرو بن مهاجر (٩٠) قال : سمعت عمر ابن عبد العزيز يقول : «رأيت اموالا انفقت في غير حقها ، فانا مستدرك ما استدركت منها ، فراده (٩١) في بيت المال ، عامد الى ذلك الفسيفساء (٩٢) والرخام فاقلعه واطينه (٩٣) ، وانزع تلك السلاسل واجعل مكانها حبالا ، وانزع تلك البطائن فأبيع ذلك وادخله بيت المال » (٩٤) .

هذه الرواية وان كانت مقبولة معقولة من حيث المضمون ، وهو تقشف عمر بن عبد العزيز وحرصه الشديد على اموال المسلمين ورغبته في انتزاع الاشياء التي يمكن نزعها من المسجد وردها الى بيت المال ، الا ان تفاصيل الرواية غير مستساغة على الاطلاق . فمن غير المعقول ان يأمر شخص سوىّ كعمر بن عبد العزيز بتخريب بيت من بيوت الله لكي ينتزع منه القطع الزجاجية منه القطع الزجاجية (الخردة) التي تعرف بالفسيفساء ، والتي تكمن قيمتها في ترصيعها على الجدران وليس في قيمتها المادية (٩٥) . هذا بالاضافة الى أن نزعها يخرب الجدران ومن ثم فان اعادة الجدران يحتاج الى اموال قد لا تقل كثيرا عن القيمة المادية للفسيفساء الزجاجية . ويستمر ابن عساكر في سرد بقية الرواية فيقول : فبلغ ذلك أهل دمشق فاشتد عليهم (الامر) ، فخرج اليه اشرافهم وفيهم خالد القسرى فقال لهم : ائذنوا لي حتى اكون انا المتكلم ، فاذنوا له ، فلما اتوا دير سمعان استأذنوا على عمر ، فاذن لهم فلما دخلوا سلموا عليه فقال له خالد : يا امير المؤمنين ! بلغنا انك هممت في مسجدنا بكذا وكذا . قال : رأيت اموالا انفقت في غير حقها وانا مستدرك ما أدركت فوداه الى بيت المال . فقال له : والله ما ذاك لك يا أمير المؤمنين . فقال عمر : لمن هو ؟ لأمك الكافرة ! وغضب عمر ، فقال خالد : ان تلك نصرانية فقد ولدت مؤمنا . فاستحى عمر وقال : صدقت ! أما قولك ما ذاك لي ؟ .

الى هنا والرواية صحيحة ومقبولة . الا أن بقيتها التي وردت على لسان خالد القسرى ، والتي يقول فيها انه كان يفرض على الجنود الذين يذهبون الى غزو بلاد الروم حمل قفير من الفسيفساء ، وقدر ذراع مربع من الرخام . فغير معقول ، بل ولم نجد له ما يؤيده في المصادر والمراجع التاريخية التي تناولت الحروب التي قامت بين الدولة الاموية والبيزنطية بالبحث والدراسة سواء القديمة منها او الحديثة . هذا بالاضافة الى أن الفسيفساء ليس بنبات يزرع فيجده الجندي العربي في النزاع فيحمله ، أو ملقى في الطرقات أو على سطوح الجبال والوديان ، بل هو يجهز خصيصا للبناء الذى سيزخرف (٩٦) بالزجاج ، والرخام الملون ، ومن الصدف ، وفي بعض الاحيان من الاحجار النصف كريمة ، بل من حبات اللؤلؤ كما هو الحال في قبة الصخرة ، ومسجد دمشق والمسجد الاقصى (٩٧) ، كما ان الرخام لم يكن

الواحا ملقاة فيسهل حملها ، بل تقطع من المحاجر حسب الطلب او تؤخذ من الخرائب .

فقد رد خالد القسرى على عمر بن عبد العزيز بقوله : انا كنا معشر أهل الشام واخواننا من أهل مصر والعراق ، نغزو فيفرض على الرجل منا ان يحمل من أرض الروم قفيزا بالصفير من الفسيفساء وذراعا فى ذراع من رخام ، فيحمله أهل العراق وأهل حلب الى حلب ، ويستأجر على ما حملوه الى دمشق . ويحمل اهل حمص الى حمص فيستأجر على ما حملوه الى دمشق . ويحمل اهل الشام ومن وراءهم حصتهم الى دمشق . فذاك قولى ما ذاك لك . فسكت عمر .

أما عن السبب الذى من اجله عدل عمر بن عبد العزيز عن تجديد المسجد مما فيه من الزخرف والزينة ، ورده الى بيت المال ، فقد سرد الحافظ ابن عساكر ثلاثة انواع من الروايات بعضها يصل فى تفصيله ومضمونه الى حد الاسطورة والبعض الآخر يمكن قبوله على علاته والبعض صحيح معقول .

أما عن النوع الاول من الرواية ، فهو ما ذكره عمرو بن مهاجر قال : ثم جاءه (أى عمر ابن عبد العزيز) بريد مصر من واليها واليـا يخبره ان قاربا ورد عليه من رومية ، فيه عشرة من الروم عليهم رجل منهم يريدون الوفود الى أمير المؤمنين . فكتب اليه أن وجههم الى ووجه معهم عشرة من المسلمين عليهم ممن يحسن الكلام بالرومية ، ولا تعلمونهم بذلك حتى يحملوا الى كلامهم . فساروا حتى نزلوا دمشق ، وخارج باب البريد (٩٨) . فسأل الروم رئيس العشرة من المسلمين ان يستأذن لهم فى دخول المسجد ، فاذن لهم ، فمروا فى الصحن حتى دخلوا من الباب الذى يواجه القبه ، فكان أول ما استقبلوا المقام ، ثم رفعوارؤوسهم الى القبة فخر رئيسهم مغشيا عليه ، فحمل الى منزله ، فقام ما شاء الله ان يقيم ، ثم افاق فقالوا له بالرومية ما قصتك ، وما الذى عرض لك حين دخلت هذا المسجد ؟ قال : انا معشر أهل رومية نتحدث ان بقاء العرب قليل ، فلما رأيت ما بنوا علمت ان لهم مدة سيبلغونها ، فلذلك اصابنى الذى أصابنى . فلما قدموا على عمر أخبروه بما سمعوا منه فقال عمر : لا أرى مسجد دمشق الا غيظا على الكفار ، فترك ما كان همّ به من أمره .

وقبل أن ننتقل الى النوع الثانى من الرواية أود أن أسأل . لماذا أتعب أهل رومية أنفسهم بالذهاب الى مصر بينما بلاد الشام أقرب اليهم فهى على تخوم بيزنطة الجنوبية ؟ .

أما النوع الثانى من الرواية وهو الذى يمكن قبوله مع شيء من الحذر ، فهى فى مضمونها تشبه الرواية السابقة ، الا انها تختلف عنها فى أن وفد رومية أتى عمر بن عبد العزيز بدمشق ، فأرسل معهم عمر من يعرف الرومية وقال : لا تعلموهم انكم تعرفون الرومية واحفظوا ما يقولون . فلما وقفوا تحت القبة ، لم يغش على رئيسهم كما الحال فى الرواية السابقة وانما قال :

كم للاسلام قالوا مئة سنة . قال تصغرون أمرهم ؟ ما بنى هذا البنيان الاّ ملك عظيم . وتنتهى الرواية كما انتهت السابقة عليها ، اذ يقول عمر بن عبد العزيز اما اذ هو غائظ العدو فدعه .

أما الرواية الثالثة فهى التي تتفق وشخصية عمر بن عبد العزيز بل يستسيغها العقل ويقرها المنطق ، اذ هى تقول : أراد عمر بن عبد العزيز ان يمحو الذهب الذى فى المسجد فقيل له انه اذ جرد لم يكن له ثمن ، فتركه .

الباب السادس

ذكر ما كان فى الجامع من القناديل والآلات ومعرفة ما عمل فيه وفى البلد بأسره من الطلسمات

ان ما أورده هنا شيخنا الحافظ بن عساكر من روايات صحيحة معظمها ، اذ أنها تتصل بأشياء مادية بعضها ما يزال باقيا ومحفوظا فى خزائن المسجد ، ومتاحف الدولة بدمشق ، والبعض الآخر سجله المصورون فى مخطوطات صنعت خصيصا لهذه الآلات مثل الساعات المائية التى وجدت فى مسجد دمشق والتى نسب اليها بعض أبواب المسجد . ومن أشهر المخطوطات العلمية التى عنيت عناية خاصة بالساعات المائية من بين الآلات الميكانيكية الاخرى (كتاب الحيل الجامع بين العلم والعمل) لابن الرزاز [٩٩] الجزرى ، اذ يوجد جزء منه نسخه خطاط مصرى اسمه محمد بن احمد (سنة ٧٥٥ هـ/ سنة ١٣٥٤ م) لاحد امراء سلاطين المماليك البرجية فى مصر ، محفوظ الآن فى متحف الفنون الجميلة فى بوسطن بالولايات المتحدة ، وقد وضع متن المخطوط بصورة تمثل ساعات مائية [١٠٠] . كما ظفرت تصاوير هذا المخطوط بعناية كثير من الدارسين وخاصة مجموعة الساعات التى ينطبق اوصافها تماما على وصف الساعات التى جاء ذكرها فى روايات ساعات مسجد دمشق ، فقد ظهر فى رسمها صور حيوانية ورسوم طير كما هو الحال بساعات مسجد دمشق .

فقد ذكر الحافظ بن عساكر عن أبى محمد بن الاكفانى : انما سمى الجامع القبلى [١٠١] باب الساعات لانه كان عمل هناك ساعات [١٠٢] يعلم بها كل ساعة تمضى من النهار . عليها صورة عصافير وحية وغراب ، فاذا تمت الساعة خرجت الحية فصاحت العصافير وصاح الغراب وسقطت حصاة فى الطست » فهى اذن من الساعات الدقاقة التى وصفها وصورها ابن الرزاز الجرزى .

أما الرواية التى ذكرت عن القنديل البلورى الذى كان موجودا فى مسجد دمشق حتى اوائل القرن الثالث الهجرى على اكثر تقدير ، فواضح فيها الاسلوب الاسطورى الخالى من الاسانيد أو التحقيق التاريخى ، اذ جاء فيها ، انه لما كان في ايام الوليدبن عبدالملك وبنائه المسجد [١٠٣] ، احتفروا موضعا فوجدوا بابا من حجارة مغلقا ، فاذا داخله مغارة فيها تمثال انسان من حجارة على فرس من حجارة فى يد التمثال الواحدة الدرة التى كانت فى المحراب(اى القنديل البلورى) ويده الاخرى مطبوقة ، فكسرت فاذا فيها حبتان ، حبة قمح وحبة شعير ، فسأل عن ذلك ، فقيل له : لو تركت الكف لم تكسرها ، لم يسوس فى هذه البلدة قمح أو شعير .

أما عن الرواية التى تقول بان الخليفة الامين العباسي كان يحب البلورة (١٠٤) ، فكتب الى صاحب شرطة دمشق فوجهها اليه ، فلما قتل ردها المأمون ليشنع بذلك على الامين فلم نجد لها سنداً من مصدر تاريخي يمكن الاعتماد عليه ، ولعل الذى قصها احد أتباع المأمون من الفرس أعداء العنصر العربى أتباع الامين .

أما عن قصة الطلاسم التى وجدت بمسجد دمشق التى تقى الجامع من الحشرات الضارة ، فهى وان كانت خرافة واسطورة من حيث الموضوع الا انها حقيقة ثابتة ، اذ أن الكثير من مساجدنا فى مصر مثل الجامع الازهر ومدرسة السلطان الغورى وغيرها كثير ما زال يحتفظ بالواح حجرية ورخامية عليها كتابة غير مقروءة تشبه حساب الفلك ولغة السحر تعرف بطلاسم الحشرات . فقد ذكر ابو الفضل يحيي بن علي القاضي : « انه ادرك فى جامع دمشق قبل حريقه (١٠٥) طلسمات لسائر الحشرات معلقة فى السقف فوق البطائن مما يلى السبع (١٠٦) وانه لم يكن يوجد فى الجامع شىء من الحشرات قبل الحريق فلما احترقت الطلسمات وجدت » .

الباب السابع

ما ورد فى أمر السُّبع
وكيف كان ابتداء الحضور فيه والجمع

ولعل من اهم الحقائق الثابتة التى أوردها شيخنا الحافظ بن عساكر ، والتى لم تذكرها كثير من المصادر التاريخية ، هو ما قيل فى امر السُّبع وما جاء فى أمر بداية التدريس فى مسجد دمشق . أما المقصود بالسُّبع (١٠٧) فهو السبع من القرآن ، ثم أصبح اسم علم يطلق على المكان الذى يقرأ فيه السبع من المسجد ، ويحدد لنا ابن جبير (١٠٨) مكان السبع من مسجد دمشق فيقول : ان موضع السبع فى المسجد ، الجهة الشرقية من مقصورة الصحابة ، وأن قراءة السبع لا تتعدى ذلك الموضع متصلا مع جدار القبلة الى الجدار الشرقي ، ووقت قراءته كل يوم اثر صلاة الصبح . وقد اوقف كثير من الحبوس على اسباع كثيرة (١٠٩) .

أما عن ابتداء الدرس فى مسجد دمشق فيقول فقيه الشام الاوزاعى عن حسان ابن عطية : الدراسة (١١٠) محدثة ، احدثها هشام بن اسماعيل المخزومى (١١١) فى قدمته على عبد الملك فحجبه عبد الملك فجلس بعد الصبح فى مسجد دمشق ، وعبد الملك فى الخضراء فأخبر أن عبد الملك يقرأ فى الخضراء ، فقرأ هشام بن اسماعيل المخزومي ، فجعل عبد الملك يقرأ بقراءة هشام ، فقرأ بقراءته مولى له فاستحسن ذلك من يليه من اهل المسجد فقرأ بقراءته » .

يفهم من هذه الرواية ان مسجد دمشق قد اتخذ مكانا للدراسة فى عهد عبد الملك ابن

مروان اى قبل توسعته واعادة بنائه فى عهد الوليد بن عبد الملك .

وهكذا نستطيع القول بانه اذا كان معاوية بن أبى سفيان (١١٢) هو أول من جعل المسجد الجامع يلعب دوراً سياسياً هاماً ، وذلك عندما طلب من جميع الامراء وعمال الاقاليم اقامة مساجد (١١٣) جامعة تمثل مسجد الدولة الرسمى وأمرهم بذكر اسم الخليفة فى خطبة الجمعة والدعاء له ، ومن ثم اصبح ذكر اسم الخليفة فى خطبة الجمعة يكون شارة من شارات الخلافة وان حذف اسمه يعنى خلعه (١١٤) . فان مسجد دمشق فى عهد عبد الملك ابن مروان كان أول مسجد رسمى اتخذ مكانا للدرس .

وبعد ،

فهذا قليل من كثير مما ذكره وأورده شيخنا المؤرخ الجليل الشأن الحافظ بن عساكر فى الابواب الستة التى خص بها الجامع الاموى فى خطط مدينة دمشق . على انى لا أدعى انى ناقشت أو أوردت جميع ما ذكره او رواه عنه ، فذلك يحتاج الى مصنف كبير لا يتسع المجال له فى هذه الندوة العالمية . ومن ثم فقد عنيت بمناقشة الظاهر منها والذى يمكن ان يعطى فكرة متكاملة عن اسلوب ابن عساكر ومنهجه الذى هو فى الواقع منهج المؤرخين فى العصور الوسطى .

والله الموفق والمعين .

فهرس المصادر والمراجع العربية

١ ـ عبد الكريم بن احمد السمعانى : اخبار رحلة السمعانى المتوفى (سنة ٥٦٢ هـ/سنة ١١٦٦ م) .
٢ ـ عبد الكريم بن أحمد السمعانى : التحبير (مخطوط) .
٣ ـ محمد بن محمد الاصبهانى : الخريد (مخطوط) توفى (سنة ٥٩٧ هـ/سنة ١٢٠٠ م) .
٤ ـ عبد الرحمن بن على بن الجوزى : المنتظم ت (سنة ٥٩٧ هـ/سنة ١٢٠٠ م) .
٥ ـ القاسم بن على الشافعى (ابن الحافظ بن عساكر) : معجم الادباء ت (سنة ٦٠٠ هـ/سنة ١٢٠٣ م) .
٦ ـ : تذكرة الحفاظ .
٧ ـ ياقوت ، بن عبد الله الرومى : معجم الادباء ت (سنة ٦٢٦ هـ/سنة ١٢٢٨ م) .
٨ ـ ابن النجار ، محمد بن محمود : ذيل تاريخ بغداد (مخطوط) (سنة ٦٤٣ هـ/سنة ١٢٤٥ م) .

٩ ـ سباط بن الجوزى : مرآة الزمان ت (سنة ٦٥٤ هـ/سنة ١٢٥٦ م) .
١٠ ـ ابو شامة ، عبد الرحمن بن اسماعيل : الروضتين ت (سنة ٦٦٥ هـ/سنة ١٢٥٨ م) .
١١ ـ ابن خلكان ، أحمد بن محمد : وفيات الاعيان ت (سنة ٦٨٢ هـ/سنة ١٢٨٣ م) .
١٢ ـ ابو الفداء ، اسماعيل بن على : تاريخ أبى الفداء ت (سنة ٧٣٢ هـ/سنة ١٣٣١ م) .
١٣ ـ الذهبى ، محمد بن احمد : تذكرة الحفاظ ت (سنة ٧٤٨ هـ/سنة ١٣٤٧ م) .
١٤ ـ الصفدى ، خليل بن ايبك : الوافى بالوفيات مخطوط ت (سنة ٧٦٤ هـ/سنة ١٣٦٢ م) .
١٥ ـ للسبكى ، عبد الوهاب بن على : طبقات الشافعية ت (سنة ٧٧١ هـ/سنة ١٣٦٩ م) .
١٦ ـ ابن كثير ، اسماعيل : البداية والنهاية ت (سنة ٧٧٤ هـ/سنة ١٣٧٢ م) .
١٧ ـ ابن القاضى شهبة ، تقى الدين أحمد بن محمد : طبقات الشافعية (مخطوط) ت (سنة ٨٥١ هـ/سنة ١٤١٢ م) .
١٨ ـ ابن تغرى بردى ، يوسف : النجوم الزاهرة ت (سنة ٨٧٤ هـ/سنة ١٤٦٩ م) .
١٩ ـ النعيمى ، عبد القادر : تنبيه الطالب ت (سنة ٩٢٧ هـ/سنة ١٥٢٠ م) .
٢٠ ـ ابن العماد ، عبد الحى : شذرات الذهب ت (سنة ١٠٨٩ هـ/سنة ١٦٧٨ م) .
٢١ ـ البستانى ، بطرس : دائرة المعارف ت (سنة ١٣٠٠ هـ/سنة ١٨٨٢ م) .

٢٢ ـ كرد على محمد : كنوز الأجداد .
٢٣ ـ ابن الفقيه الهمذانى : البلدان .
٢٤ ـ احمد بن طيفور : تاريخ بغداد (طبع ليبزج سنة ١٩٠٨ م) .
٢٥ ـ محمد احمد دهمان : جبل قاسيون دمشق سنة ١٩٤٦ م .
٢٦ ـ محمد كرد على : خطط الشام دمشق سنة ١٩٢٥ م .
٢٧ ـ ابن جبير : الرحلة ليدن سنة ١٨٥٢ م .
٢٨ ـ المحب الطبرى : الرياض النضرة فى مناقب العشرة القاهرة (١٣٢٧ هـ) .
٢٩ ـ ابن الحورانى : الزيارات (الاشارات الى اماكن) دمشق (١٣٢٧ هـ) .
٣٠ ـ على بن ابى بكر الهراوى : الزيارات (الاشارات الى معرفة) دمشق (١٩٥٣ م) .
٣١ ـ ابن الطولونى : الشمعة المضيئة فى اخبار القلعة الدمشقية دمشق (سنة ١٣٤٨ هـ) .

٣٢ ـ ابن ابى اصيبعة : عيون الانباء فى طبقات الاطباء ـ القاهرة .
٣٣ ـ ابن الطولونى : القلائد الجوهرية فى تاريخ الصالحية ـ دمشق (١٩٤٩ م) .
٣٤ ـ الحسن بن احمد الاربلى : مساجد دمشق وربطها وجوامعها وحماماتها دمشق (سنة ١٩٤٧ م) .
٣٥ ـ مسجد دمشق : صلاح الدين المنجد دمشق سنة ١٩٤٨ م
٣٦ ـ ابن فضل الله العمرى : مسالك الابصار فى ممالك الامصار القاهرة سنة ١٩٢٤ م .
٣٧ ـ ابن واصل الحموى : مفرج الكروب فى اخبار بنى ايوب القاهرة سنة 1952 م .
٣٨ ـ عبدالله بن محمد البدرى : نزهة الانام فى محاسن الشام القاهرة سنة ١٣٤١ هـ .

(١) محمد كرد على : كنوز الاجداد .
(٢) السبكى : طبقات الشافعية جـ ٤ ص ٢١٣ .
(٣) السبكى : جـ ٤ ص ٣٢٤ . شذرات الذهب جـ ص ٣٢٤ للعماد الاصفهانى .
(٤) ابن القاضى شهبه : طبقات الشافعية (مخطوط) ورقة ٢٠٥ .
(٥) السمعانى : التحبير (مخطوطة) ورقة ١١٣ .
(٦) مخطوطة تاريخ دمشق لابن عساكر . نشرها صلاح المنجد ص ١٤ .
(٧) كرد على : كنوز الاجداد .
(٨) ابن خلكان : وفيات الاعيان .
(٩) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٥ ص .
(١٠) سبط بن الجوزى : الخريدة .
(١١) عبد الكريم أحمد السمعانى : التحبير وهو مخطوط ذكر فيه اشارات كثيرة الى الحافظ فى رحلته واستشهد بآرائه فى المحدثين .
(١٢) العماد الاصفهانى : الخريدة (مخطوط) . لقى الاصفهانى ابن عساكر بدمشق سنة ٥٦٢ هـ وتردد عليه وسمع منه بعض التاريخ وشيئا مما القيه وقد أنشده الحافظ ابن عساكر شعره .
(١٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ ٢ ص ١٢ .
(١٤) صلاح الدين المنجد : تاريخ مدينة دمشق جـ ١ ص ٣١ .
(١٥) القاسم بن على الشافعى : تذكرة الحفاظ جـ ٤ ص ١٢٠ .
(١٦) السمعانى : التحبير ورقة ١٦ .
(١٧) العماد : الخريدة (مخطوط) ورقة ١٤٧ .
(١٨) ابو شامة : ذيل الروضتين ص ٤٧ .
(١٩) صلاح المنجد : تاريخ دمشق ص ٣٣ .
(٢٠) كرد على : كنوز الاجداد .
(٢١) ابن عساكر : تاريخ دمشق جـ ١ ص ٥ .
(٢٢) عبد القادر بدران : تهذيب ابن عساكر جـ ٢ ص ٩٤ .
(٢٣) ابن جبير : الرحلة ص ٢٦٣ .
(٢٤) هو أبو الحسن أحمد بن عبدالله بن حميد المشهور بابن ابى العجائز .
(٢٥) قام بتحقيقه الدكتور صلاح الدين المنجد .

(٢٦) القشيرى : تاريخ الرقة (مخطوطة) بالمدرسة الظاهرية .

(٢٧) حمزة السهمى : تاريخ جرجان ص ١٦ .

(٢٨) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ ١ ص ٦٦ الى ١٢٦ .

(٢٩) تهذيب التهذيب : جـ ١ ص ٨٠ .

(٣٠) فضائل الشام ودمشق : ص ٣٦ .

(٣١) فضائل الشام ودمشق : ص ٦١ ، عيون التواريخ حوادث سنة ٨٦ هـ.

(٣٢) المرجع السابق .

(٣٣) تفسير الالوسى : جـ ٣٠ ص ١٧٣، ١٧٤ .

(٣٤) الامام محمد عبده : ص ١١٨، ١١٩ .

(٣٥) محمد كرد على : كنوز الاجداد .

(٣٦) فضائل الشام ودمشق ص ٦٢ ، معجم البلدان لياقوت ص ٥٨٨ .

(٣٧) انظر الباب السادس فى البحث .

(٣٨) ابن الفقيه : كتاب البلدان .

(٣٩) فضائل الشام ودمشق ص ٣٨ .

(٤٠) كمال الدين محمد بن محمد المقدسى : اتحاف الاخصا بفضل المسجد الاقصى (مخطوطة) رقم (٤٠٧) دار الكتب المصرية .

(٤١) محمد كرد على : كنوز الاجداد .

(٤٢) المسعودى : مروج الذهب جـ ٣ ص ١٧٣ ، ج ٤ ص ٨٩ ، جـ٥ ص ٧٧.

(٤٣) F. Krenk the Two oldest books on Arabic Folklore (in Eslamic Calture II)

(٤٤) زكى محمد حسن : دراسات فى الموازنة بين المؤرخين فى دار الاسلام والمؤرخين الاوروبيين فى العصور الوسطى ص ٦ ـ ٨ (مجلة كلية الآداب ببغداد جـ ٢ سنة ١٩٥٧) .

(٤٥) ابن حزم : الفصل فى الملل والاهواء والنحل ص ٣٨ .

(٤٦) ابن الاثير : أسد الغابة فى معرفة الصحابة جـص ٢٣٣ .

(٤٧) فضائل الشام ودمشق ص ٣٤ .

(٤٨) يرجع نسب وهب بن منبه الى أسرة فارسية الاصل استقرت فى اليمن قبل الاسلام وهو من الرعيل الاول من كتاب المغازى توفى (سنة ١١٠ هـ/سنة ٧٢٨ م) ، وقد اشتهر وهب بمعرفة اخبار اهل الكتاب من يهود ومسيحيين عن طريق اهل اليمن من اهل الكتاب . وينسب الى وهب بن منبه (كتاب المبتدأ) الذى استغله الثعلبى فى كتابه (عرائس المجالس فى قصص الانبياء) ويضم الكتاب كثيرا من قصص الانبياء كما ينسب الى وهب (كتاب الملوك المتوجه من حمير واخبارهم وغير ذلك) وهو التاريخ الخرافى القديم لليمن . (ياقوت : معجم الادباء جـ ٧ ص ٢٣٣) .

(٤٩) Pope A.V : A Survey of Persion Art & An Introduction to Persian Art simce the seventh Century.

(٥٠) يوسف هورفتس : المغازى الاول ومؤلفوها (ترجمة حسين نصار ـ القاهرة ١٩٤٩) .

(٥١) المسعودى : مروج الذهب جـ ٢ ص ١٥٢ (المطبعة البهية سنة ١٣٤٦ هـ) .

(٥٢) ابن الفقيه : كتاب البلدان ص ١٠٧ .

(٥٣) لعل كلمة (مبسط) التى وردت فى المخطوطة وكلمة (مسفط) التى صححها الدكتور صلاح الدين المنجد فى تحقيقه للمخطوط هى (مسمط) اى غير مجوف وهو اصطلاح معمارى يطلق على الاعمدة وتيجانها الغير مجوفة .

(٥٤) مروج الذهب جـ ٣ ص ١٧٣ .

(٥٥) F. Krenko : The Two oldest books on Arabic Folklore p. 72

(٥٦) المسعودى : مروج الذهب جـ ٤ ص ٨٩ .

(٥٧) Creswell : Early Muslim Architecture vol I p. 162

(٥٨) ابن فضل الله العمرى : مسالك الابصار فى الممالك والامصار جـ ١ ص ١٩٠ .

(٥٩) لقد حقق احمد زكي باشا كتاب ابن فضل الله العمرى (سنة ١٩٢٤ م/سنة ١٣٤٢ هـ) اى قبل صدور موسوعة الاستاذ كرزويل عن العمارة الاسلامية التى ظهر الجزء الاول منها الذى يحتوى وصف جامع دمشق فى سنة ١٩٣٢ م .

(٦٠) مدينة دمشق وآثارها . مديرية الآثار بدمشق .

(٦١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٩ ص ١٤٥ . فضائل الشام ودمشق ص ٤٠ .

(٦٢) هناك ثلاثة مقاييس للذراع فى العصر الاسلامى . ذراع اليد ويبلغ ٤٨ سنتيمتر . والذراع الحديدى (او القاسمى) وهو (٥٧ سم) . والذراع المعمارى او المصرى وهو (٧٥ سم) (باسلامة : وصف الحرم المكى) .

(٦٣) Sauvaget : Esquisse d'une Histoire de la ville de Damas.

(٦٤) Dussaud : Topographis Historique de la Syrie Antique et Medieval.

(٦٥) Cantineau : Le Parlers Arabes du Haran (Paris 1946)

(٦٦) تاريخ مدينة دمشق (تحقيق صلاح الدين المنجد) المجلدة الثانية ص ١١ .

(٦٧) ابن جبير : الرحلة ص ٢٦٤ .

(٦٨) تهذيب التهذيب : جـ ١ ص ٨٠ . مهذب ابن عساكر جـ ٢ ص ٩٤ .

(٦٩) زكى محمد حسن : فنون الاسلام ص ٣٣ .

(٧٠) اشار البلاذرى فى كتابه فتوح البلدان : ان الوليد بن عبد الملك كتب الى عمر بن عبد العزيز عامله على المدينة المنورة بأمره يهدم مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم واعاد بنائه . وبعث اليه بمال وفسيفساء ورخام وثمانين صانعا من الروم والقبط من اهل مصر واهل الشام . فبناه وزاد فيه .

(٧١) ابن الفقيه : كتاب البلدان ص ١٠٦ .

(٧٢) مسالك الابصار : ص ١٨٣ .

(٧٣) H. Lammens : Etudes sur le siecle de Omayyad. p. 93 Beyrouth (1930)

(٧٤) لقد أثبتت مارجريت فان برشم التى تخصصت فى دراسة فسيفساء قبة الصخرة والمسجد الاموى بان الفسيفساء الموجود بهذين البنائين . انما صنع بأيدى عمال سوريين تتلمذوا على ايدى الروم . وليس من المستبعد ان يكون معهم قلة من عمال الروم (فسيفساء قبة الصخرة) .

(٧٥) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٤٩ (دار الكتب) .

(٧٦) ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ ١ ص ٢٨٤ .

(٧٧) الابشيهى : المستطرف فى كل من مستظرف جـ ٢ ص ٤٧ .

(٧٨) البيهقى : المحاسن والمساوىء ص ٤٩٨ .

(٧٩) مسالك الابصار ص ١٨٥ .

(٨٠) مسالك الابصار : ص ١٨٨ .

(٨١) عيون التواريخ سنة ٨٦ تأليف محمد بن شاكر الكتبى .

(٨٢) ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٥٩٢ . مسالك الابصار ص ١٨٧ .

(٨٣) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٢٥ .
(٨٤) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٩ ص ١٥١ .
(٨٥) ابن فضل الله العمرى : مسالك الابصار ص ١٩٠ .
(٨٦) كان محمد بن سويد الفهرى عامل عمر بن عبد العزيز على دمشق (تهذيب التهذيب جـ ٩ ص ١٠) .
(٨٧) مسالك الابصار : ص ١٩٠ .
(٨٨) انظر مخطط دمشق القديمة .

(٨٩) محمد كرد على : كنوز الاجداد .
(٩٠) محمد شاكر الكتبى : عيون التواريخ سنة ٨٦ هـ .
(٩١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٩ ص ١٥١ .
(٩٢) ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٥٩٤
(٩٣) ابن فضل الله العمرى : مسالك الابصار ص ١٩١ .

(٩٤) ابن الفقيه : كتاب البلدان ص ١٠٨ .
(٩٥) Margritte Van Berchem, la Aqusa Mosque.
(٩٦) Talbult Rice : T8he Byzantine Art p: 75
(٩٧) Creswell : Early muslim Architecture Vol I p. 119
(٩٨) انظر مخطط دمشق القديمة .
(٩٩) لقد كلف نور الدين محمد بن قرا أرسلان ، احد سلاطين بنى ارتق فى ديار بكر ابن الرزاز الجزرى

(سنة ١١٨١ م) ان يكتب مقالا عن مخترعاته من الحيل الميكانيكية ، التى تشتمل على وصف للالات المختلفة من ضاغطة ورافعة وناقلة ومتحركة ومن اهمها فى ذلك الوقت الساعة المائية والساعة الدقاقة . وقد أتم الجزرى كتابه هذا (سنة ١٢٠٦ م) . وقد تم توضيح متن الكتاب بالصور التى سهلت فهم الالة كما انها اصبحت سجلا عظيما افادنا فى تفهم شكل تلك الآلات التى اندثرت أو التى لا يوجد لها أثر فى المتاحف . (احمد تيمور : التصوير عند العرب ص ٤٢ ـ ١٨٢ ، جورجى زيدان : التمدن الاسلامى جـ ٢ ص ٤٣ .

(١٠٠) زكى حسن : اطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الاسلامية شكل (٨٨٦).
(١٠١) كان اسم باب الساعات يطلق على الباب القبلى حتى القرن الرابع ، أما فى القرن السادس فقد اطلق اسم باب الساعات على باب جيرون الشرقى كما جاء فى رحلة ابن جبير ص ٢٧١ .
(١٠٢) يذكر ابن ابى اصيبعة فى كتابه (عيون الابناء فى طبقات الاطباء جـ ٢ ص ١٨٤) ان ساعات مسجد دمشق صنعت فى عهد نور الدين زنكى على يد فخر الدين ابن الساعاتى . وكانت تعرف باسم (بنكام) اى الساعة المائية التى وصفها ابن جبير فى رحلته (هامش ص ١٩٨ مسالك الابصار) .

(١٠٣) مسالك الابصار : ص ١٩٤ .

(١٠٤) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٩ ص ١٤٩ .

(١٠٥) كان حريق الجامع في نصف شعبان سنة ٤٦١ هـ . وكان سببه ان امير الجيوش بدر الجمالي ورد من مصر الى دمشق وفي هذه السنة وقع قتال بين المشارقة والمغاربة فضربوا دارا كانت مجاورة للجامع بالنار فبادرت الى الجامع (مسالك الابصار ص ١٩٨) .

(١٠٦) انظر باب ذكر ما كان في الجامع من القناديل والآلات ومعرفة ما عمل فيه وفي البلد بأسره من الطلسمات .

(١٠٧) الحسن بن أحمد الاربلي : مساجد دمشق وربطها وجوامعها وحماماتها ص ٥٨ .

(١٠٨) الرحلة : ص ٢٩٤ .

(١٠٩) النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس جـ ١ ص ٢٣ . كرد علي : خطط الشام جـ ٦ ص ٣٥ .

(١١٠) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٩ ص ١٥٩ .

(١١١) كان عامل عبد الملك على المدينة المنورة (البداية والنهاية جـ ٩ ص ١٦٠) .

(١١٢) الزراكشي : اعلام الساجد باحكام المساجد ص ٢٧ .

(١١٣) المقريزي : الخطط جـ ٢ ص ٢٤٦ .

(١١٤) سعاد ماهر : مساجد مصر جـ ١ ص ٣١ .